تكريم القرآن الكريم لمكانة المرأة في ضوء العدالة وأثره في تعزيز متانة نظام الأسرة

ساره إسماعيل كاظم
طالبة دكتوراه، قسم علوم القرآن والحديث، جامعة مازندران، بابلسر، إيران
baranmslm8@gmail.com
د. علي أكبر ربيع نتاج (الكاتب المسؤول)
أستاذ مشارك، قسم علوم القرآن والحديث، جامعة مازندران، بابلسر، إيران
sm.rabinataj@gmail.com
د. رضا آقابور
عضو هيئة التدريس، قسم علوم القرآن والحديث، جامعة مازندران، بابلسر، إيران
r.aghapour@umz.ac.ir

The Holy Qur'an's honoring of the status of women in light of justice and its impact on strengthening the family system

Sarah Ismael Kadhim
PhD student , Department of Quranic and Hadith Sciences , University of Mazandaran , Babolsar , Iran
Dr. Seyyed Ali Akbar Rabi'nat (Responsible writer)
Professor , Department of Quran and Hadith Sciences , University of Mazandaran , Babolsar , Iran
Dr. Reza Aghabour
member of the teaching staff, Department of Quranic and Hadith Sciences , University of Mazandaran , Iran

الملخص:-

إن تكريم القرآن الكريم لمقام المرأة في ضوء العدالة الإلهية يُعدّ من المبادئ الأساسية في التعاليم الإسلامية، وله دور بالغ الأهمية في حفظ واستقرار نظام الأسرة. يهدف هذا البحث، بمنهجٍ وصفي-تحليلي، إلى دراسة دقيقة للآيات القرآنية والمفاهيم المتصلة بكرامة المرأة والعدالة في القرآن، مع تحليل أثر هذين العاملين في مكانة المرأة وسلامة البناء الأسري.

تشير نتائج الدراسة إلى أن القرآن، من خلال تأكيده على الكرامة الذاتية والحقوق الأساسية للمرأة بوصفها كائناً ذا قيمة واحترام، يهيّئ البيئة المناسبة لتحقيق العدالة في العلاقات الأسرية، مع المحافظة على إنسانية المرأة ومكانتها. وتُفهم العدالة القرآنية في الأسرة على أنها إيجاد توازن وتكافؤ بين الحقوق والواجبات، لا سيما بين الرجل والمرأة، مما يؤدي إلى استقرار الأسرة، وخلق بيئة من الطمأنينة والتلاحم الأسري.

كذلك، فإن تكريم القرآن للمرأة لا يقتصر على إعلاء مكانتها، بل يشمل ضمان حقوقها في المشاركة واتخاذ القرار، والحريات المشروعة ضمن نطاق الأسرة، مما يسهم في تقوية بنيان الأسرة. وتشكل مفاهيم العدالة والكرامة منظومة متكاملة ومتكافئة، تؤكّد في التعاليم القرآنية بهدف صون كرامة الإنسان وبناء علاقات إنسانية متوازنة.

تخلص الدراسة إلى أن نظام الأسرة لن يكون راسخًا ومتينًا ما لم تُمنح المرأة الكرامة والعدالة الكاملة، وأن هذا الهدف لا يتحقق إلا من خلال فهم عميق وتنفيذ سليم لتعاليم القرآن الكريم. وبناءً عليه، فإن إيلاء الاهتمام بكرامة المرأة في ظل العدالة القرآنية لا يُعزز فقط مكانتها في الأسرة والمجتمع، بل يُعد من العوامل الجوهرية في حفظ تماسك واستقرار الأسرة المسلمة. لذا، فإن نشر هذه المفاهيم وتعميمها في المجتمع هو ضرورة حتمية لبناء أسرة مستقرة وسليمة.

الكلمات المفتاحية: كرامة المرأة، العدالة القرآنية، مكانة المرأة في القرآن، الأسرة، استقرار الأسرة.

Abstract:-

The Holy Quran's honoring of women in light of divine justice is a fundamental principle of Islamic teachings and plays a crucial role in preserving and stabilizing the family system. This study, using a descriptive-analytical approach, aims to conduct a thorough study of Quranic verses and concepts related to women's dignity and justice in the Quran, while analyzing the impact of these two factors on women's status and the integrity of the family structure.

The results of the study indicate that the Quran, by emphasizing the inherent dignity and fundamental rights of women as valuable and respected beings, creates an appropriate environment for achieving justice in family relations, while preserving women's humanity and status. Quranic justice in the family is understood as establishing a balance and equality between rights and duties, particularly between men and women, which leads to family stability and creates an environment of tranquility and family cohesion.

Furthermore, the Quran's honoring of women is not limited to elevating their status; it also includes guaranteeing their rights to participation, decision-making, and legitimate freedoms within the family, thus contributing to strengthening the family structure. The concepts of justice and dignity constitute an integrated and equitable system, affirmed in Quranic teachings with the aim of preserving human dignity and building balanced human relations.

The study concludes that the family system will not be stable and robust unless women are granted full dignity and justice, and that this goal can only be achieved through a deep understanding and sound implementation of the teachings of the Holy Quran. Accordingly, paying attention to women's dignity under Quranic justice not only enhances their status in the family and society, but is also an essential factor in preserving the cohesion and stability of the Muslim family. Therefore, disseminating and generalizing these concepts in society is an absolute necessity for building a stable and healthy family.

Key words: Women's dignity , Quranic justice , Women's status in the Quran , Family , Family stability.

المقدمة:ـ

تُعدّ المرأة أحد أهم أركان أي مجتمع، إذ تضطلع بدور لا غنى عنه في بناء الأسرة واستمرار النسل. ومع ذلك، فقد تعرّضت مكانة المرأة، عبر التاريخ وفي كثير من الثقافات، للتجاهل أو التقييد غير العادل. وقد جاء القرآن الكريم، بوصفه الكتاب السماوي والمصدر الرئيس لتعاليم الإسلام، ليقدّم رؤية جديدة، شاملة وعادلة، تجاه مقام المرأة وكرامتها، ترتكز على مبدأ العدالة الإلهية (الطباطبائي، ١٣٧٣هـ ش).

إن تكريم القرآن للمرأة لا يقتصر على التأكيد على شخصيتها الفطرية، بل يشمل أيضًا تنظيم حقوقها ومسؤولياتها ضمن الأسرة والمجتمع، بطريقة متوازنة وعادلة. فالعدالة في العلاقات الأسرية، ولا سيما بين الرجل والمرأة، تُعدّ أساسًا لصيانة الكرامة والاحترام المتبادل، مما يؤدي إلى تماسك الأسرة واستقرارها (سيد قطب، ١٣٥٥هـ ش).

بيان المشكلة

تُعدّ المرأة من الركائز الأساسية للأسرة والمجتمع، إذ تؤدي دورًا محوريًا في استمرار النسل، وصون الثقافة، والحفاظ على استقرار البُنى الاجتماعية. وعلى الرغم من أن القرآن الكريم يعترف بمكانة المرأة بوصفها كائنًا مكرّمًا يمتلك حقوقًا متساوية، ويؤدي دورًا جوهريًا في الأسرة والمجتمع، فإن هذه المكانة، سواء في المجتمعات السابقة أو حتى المعاصرة، غالبًا ما جرى تهميشها أو تقييدها بشكل غير عادل بفعل عوامل ثقافية واجتماعية وتاريخية (الطباطبائي، ١٣٧٣هـ ش).

لقد أدّت مظاهر التمييز القائم على النوع الاجتماعي، وغياب العدالة في العلاقات الأسرية، وانتهاك حقوق المرأة في بعض الحالات، إلى ظهور مشكلات جمّة على مستوى الأسرة، تجلت آثارها في ازدياد حالات الطلاق، وتصاعد النزاعات الأسرية، وتدهور الصحة النفسية لأفراد الأسرة (سيد قطب، ١٣٥٥هـ ش).

من جانب آخر، تُعدّ العدالة من المبادئ المحورية في القرآن الكريم، حيث تؤكد على ضرورة الإنصاف، والتوازن، واحترام حقوق جميع أفراد الأسرة. وتُفهم العدالة القرآنية لا على أنها مساواة جامدة في توزيع الحقوق، بل على أنها تخصيص سليم ومتوازن للحقوق

والواجبات بحسب مكانة كل فرد ودوره. وهذه العدالة تضمن صون كرامة المرأة، وتُسهم في ترسيخ علاقات أسرية قائمة على الاحترام المتبادل والتعاون (فضل الله، ١٤٠٨هـ ق).

أسئلة البحث:

- كيف يؤثر تكريم القرآن الكريم لمقام المرأة في ضوء العدالة على استقرار نظام الأسرة؟
- كيف تم تعريف وتفسير كرامة المرأة في القرآن الكريم؟
- كيف تتحقق العدالة القرآنية في العلاقات الأسرية، لا سيما فيما يتعلق بمكانة المرأة؟
- ما تأثير مفهومي الكرامة والعدالة في القرآن على دور ومكانة المرأة في بنية الأسرة؟
- كيف يتمثّل الارتباط بين صَون كرامة المرأة واستقرار الأسرة من منظور التعاليم القرآنية؟

الإطار النظري:

يقتضي تحليل مكانة المرأة في القرآن الكريم، ودراسة أثر مفهومي الكرامة والعدالة في استقرار الأسرة، الوقوف على الأسس النظرية للمفاهيم التي ينبني عليها هذا البحث. وفي هذا القسم، سيتم تناول المفاهيم الأساسية، وهي: **الكرامة، العدالة، الأسرة، واستقرار الأسرة**، وذلك من منظور قرآني ومن خلال المعارف الإسلامية ذات الصلة.

الدراسات السابقة:

لقد حظي موضوع **كرامة المرأة والعدالة في القرآن الكريم وتأثيرهما على بنية الأسرة** باهتمام واسع من قِبل الباحثين في مجالات العلوم الدينية والقانونية والاجتماعية. وقد ركّزت هذه الدراسات غالبًا على تحليل مفاهيم الكرامة والعدالة، ودور المرأة في النظام الأسري الإسلامي، وذلك من زوايا نظرية وتفسيرية متعددة.

يُعدّ **تفسير الميزان** للعلامة الطباطبائي (١٣٧٣هـ ش) من أبرز المصادر الأساسية في هذا المجال، حيث يعرّف كرامة المرأة الفطرية بأنها حق طبيعي لا يُمكن إنكاره، ويبيّن مكانتها في الأسرة والمجتمع استنادًا إلى مبدأ العدالة الإلهية. كما يبرز **سيد قطب** في مؤلَّفه **في ظلال**

القرآن (١٣٥٥هـ ش) أهمية العدالة في الحفاظ على كرامة المرأة وإرساء التوازن في العلاقات الأسرية.

أما في مجال التفسير العلمي والمعاصر للقرآن، فإن كتاب **تأويل آيات القرآن** لمحمد فضل الله (١٤٠٨هـ ق) يُعدّ من المراجع المهمة التي تناولت بالتحليل العميق مفهومي العدالة وكرامة المرأة وأثرهما في استقرار الأسرة. كذلك، يحظى كتاب **مفاتيح الغيب** لمحمد مكي (١٤٠٥هـ ق) بمكانة علمية بارزة في شرح الأسس القرآنية للعدالة داخل العلاقات الأسرية.

ومن الدراسات البحثية المعاصرة، نجد مقالة **"تحديات التفسير العلمي للقرآن"** لعلي مزروعي (١٣٩٥هـ ش)، التي ناقشت العقبات والفرص المتاحة أمام تطبيق العدالة القرآنية في حفظ كرامة المرأة وتعزيز التماسك الأسري. كما تؤكد مقالة **"تحليل نقدي للتفسير العلمي للقرآن"** لأحمد عباسي (١٣٩٨هـ ش)، أن إهمال مفهومي الكرامة والعدالة قد يؤدي إلى أضرار جسيمة داخل الأسرة، سواء على المستوى النفسي أو الاجتماعي.

كما يُعدّ كتاب **"العلم والوحي: جسر التواصل في التفسير العلمي للقرآن"** لعلي رضائي (١٣٩٩هـ ش) من المؤلفات الحديثة التي تناولت بشكل واضح أهمية كرامة المرأة وتأثيرها في تعزيز متانة العلاقات الأسرية.

وفي إطار الدراسات الاجتماعية حول الأسرة، أشارت مقالة **"أثر التفسير العلمي للقرآن في الثقافة الدينية"** من تأليف رضا قاسمي (١٣٩٤هـ ش) إلى أن تعليم وترويج مفهومي الكرامة والعدالة داخل الأسرة يؤدي إلى زيادة الاستقرار والرضا الزواجي.

إلى جانب ذلك، هناك عدد من الدراسات باللغة العربية الحديثة مثل مقالة **"دور التفسير العلمي في عصر التكنولوجيا الحديثة"** (ناصر، ٢٠١٧م) و❖❖"العلاقة بين القرآن والعلم الحديث"❖❖ (شرف، ٢٠١٨م)، واللتين بحثتا في العلاقة بين التفسير العلمي للقرآن، وتحقيق العدالة، ودور المرأة في البناء الأسري.

وعلى الرغم من تنوّع هذه المصادر وغناها، لا تزال الحاجة قائمة إلى دراسات تحليلية وتكاملية تُعنى ببحث تكريم القرآن الكريم لمقام المرأة في ضوء العدالة، وتأثير ذلك على نظام الأسرة. ومن هذا المنطلق، يسعى البحث الحالي إلى سدّ هذا الفراغ العلمي، من خلال

الاستفادة من المصادر الموثوقة والمحدَّثة، وتقديم إطار علمي وتطبيقي يساهم في تعزيز مكانة المرأة وترسيخ استقرار الأسرة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

مفاهيم البحث:

أولًا: مفهوم الكرامة في القرآن الكريم

الكرامة في اللغة تعني: العظمة، الشرف، القيمة والرفعة. أما في المنظور القرآني، فإن الكرامة تُعدّ أمرًا فطريًا ذاتيًا وهبه الله لجميع البشر، بغضّ النظر عن الجنس أو العرق أو الانتماء القومي.

ويُعدّ قوله تعالى في سورة الإسراء دليلاً صريحًا على ذلك: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)، إذ يُصوّر الإنسان بوصفه مخلوقًا مكرّمًا يتميّز عن غيره من الكائنات بفضل خصوصية خلقه (الطباطبائي، ١٣٧٣هـ ش، ج ١٣).

يرى العلامة فضل الله أن كرامة المرأة في القرآن لا تقتصر على المستوى الخطابي أو النظري، بل تتجلّى في سلوكيات وممارسات حقيقية على المستويين الأسري والاجتماعي. فالمرأة في القرآن ليست مجرد كائن محترم فحسب، بل هي فاعلة في مجالات متعددة مثل الأمومة، الزوجية، والمشاركة المجتمعية، بالإضافة إلى دورها المحوري في تربية الأجيال، وهي أدوار تعكس كرامتها الواقعية والمدعومة (فضل الله، ١٤٠٨هـ ق).

وتعني كرامة المرأة في القرآن ما هو أعمق من الاحترام الشكلي أو الاجتماعي، إذ تشير إلى مكانتها الذاتية والفطرية التي منحها الله لها منذ الخلق. وتشمل هذه الكرامة حقوقًا أساسية منها:

حق الحياة، الحق في الأمان، الحق في الاختيار، الحق في العدالة داخل الأسرة والمجتمع، والحق في المشاركة في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية) الطبطبائي، ١٣٧٣هـ ش)، ويُفهم من الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ **أن الكرامة الإنسانية تشمل** الرجال والنساء على حد سواء، ما يعني أن كرامة المرأة حق طبيعي وأصيل، لا يملك أي فرد أو جهة الحق في انتهاكه أو تقييده.

كما تُجسّد كرامة المرأة في القرآن صون مكانتها داخل العلاقات الأسرية، بمعنى أن على الأسرة أن تحترمها وتؤمّن لها بيئة داعمة تضمن لها **حق اتخاذ القرار، التمتع بالمودة، والأمان العاطفي والجسدي**. ومن هنا، تُعدّ كرامة المرأة داخل الأسرة شرطًا أساسيًا لتحقيق التوازن النفسي والعاطفي لأفرادها، الأمر الذي ينعكس بشكل مباشر على **استقرار الأسرة وتماسكها**.

٢. مفهوم العدل في القرآن الكريم

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾... (النحل: ٩٠) العدل في معناه الحرفي هو الاعتدال والإنصاف ووضع كل شيء في نصابه. وفي القرآن الكريم، يُعدّ العدل من المبادئ الأساسية للحياة الفردية والاجتماعية. يقول تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾... (النحل: ٩٠). ولا يقتصر العدل القرآني على المساواة العددية فحسب، بل يشمل أيضًا تحقيق التوازن ومراعاة الحقوق بما يتناسب مع الواجبات. وفي الأسرة، يعني العدل مراعاة حقوق الرجل والمرأة في إطار واجباتهما المشتركة والمختلفة. ويمنح العدل في العلاقات الأسرية المرأة الكرامة والسلام والأمن، ويمنع الغلو والإسراف (سيد قطب، ١٣٥٥، المجلد ٢).

وفي تفسير الميزان، ورد أيضًا أن العدل أساس استقرار النظام الإنساني، وأن الانحراف عنه يؤدي إلى تمزق الأسرة وأسسها الاجتماعية (الطبطبائي، ١٩٩٤، المجلد ٤). ويتجاوز العدل في القرآن مجرد المفهوم القانوني، ليعني المعاملة العادلة والنزيهة والمنصفة في العلاقات الإنسانية. وفي سياق الأسرة، يعني العدل التوزيع العادل للحقوق والمسؤوليات بين الرجل والمرأة، بحيث لا يُحرم أي منهما من حقوقه، ويُؤدّى واجباته على أكمل وجه (سيد قطب، ١٩٧٦). فعلى سبيل المثال، يتجلى العدل في المهر والنفقة وحقوق حضانة الأطفال والمشاركة في قرارات الأسرة.

يأمر القرآن الكريم في سورة النساء (الآية ١٣٥) المؤمنين بالعدل حتى مع أقاربهم، بما في ذلك العلاقات الأسرية. فالعدل يُخفف من حدة النزاعات والخلافات، ويُعزز جوّ المحبة والاحترام في الأسرة.

٣. مفهوم الأسرة في الإسلام

في نظر القرآن الكريم، تُعدّ الأسرة مؤسسةً مقدسةً وأساسَ المجتمع. وقد تشكّلت أولى صور هذه المؤسسة الاجتماعية من زواج آدم وحواء. يقول القرآن الكريم "**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها...**" (الروم: ٢١). وبناءً على هذه الآية، حُدّدت ثلاثة محاور رئيسية للأسرة الإسلامية: السكينة والمودة والرحمة. ولا تتحقق هذه المقومات إلا إذا قامت العلاقات الأسرية على العدل والاحترام والكرامة. ومن منظور الإسلام، تُعدّ الأسرة مكانًا للتربية والمحبة والمشاركة والأخلاق ونقل القيم.

٤. استقرار الأسرة

في الأدبيات الدينية والاجتماعية، تعني قوة الأسرة الاستقرار والتناغم والتماسك الداخلي. فالأسرة التي يلتزم أعضاؤها بواجباتهم، ويحترمون حقوق بعضهم البعض، وينعمون ببيئة خالية من التمييز والإهانة، هي أسرة قوية. في المقابل، يُعد الظلم وانتهاك الكرامة والعنف وتجاهل دور المرأة عوامل مهمة في انهيار الأسرة (قاسمي، ٢٠١٥). وتعني قوة نظام الأسرة استقرار هيكلها، مما يخلق بيئة آمنة وسلمية ومتناغمة لأفرادها (عباسي، ٢٠١٩). وتعتمد قوة الأسرة على عدة عوامل، أهمها مراعاة العدالة في توزيع الحقوق والواجبات، وحفظ كرامة المرأة فيها.

الأسرة القوية هي المكان الذي يتمتع فيه كل من الرجل والمرأة بحقوقهما، وتُحفظ فيه كرامتهما، بحيث يُخفف هذا التوازن النفسي والعاطفي من التوترات، ويزيد من الرضا الزوجي، ويعزز الصحة النفسية للأطفال. ومن خلال التأكيد على العدالة والكرامة، وفر القرآن الكريم منصة لتحقيق هذا الاستقرار، الذي بدوره يعزز المجتمع بأكمله.

من منظور القرآن الكريم، فإن أهم عناصر قوة الأسرة هي:

- الحفاظ على الاحترام المتبادل والكرامة
- تطبيق العدل في اتخاذ القرارات والمسؤوليات
- احترام حقوق المرأة كزوجة وأم
- إشاعة المودة والرحمة والسلام في البيئة الأسرية

بناءً على الأسس النظرية السابقة، يمكن القول إن القرآن الكريم، بتأكيده على كرامة المرأة الأصيلة وتطبيقه للعدل في العلاقات الأسرية، يُمهد الطريق لبناء أسرة سليمة ومتوازنة ومستقرة. هذان العنصران الرئيسيان (الكرامة + العدل) بمثابة دعامتين أساسيتين تسندان سقف الأسرة وتمنعانها من الانهيار.

الأسس النظرية للبحث:

تكريم القرآن الكريم للمرأة في ضوء العدل وأثره في قوة نظام الأسرة. يتطلب تحليل دور المرأة في تقوية نظام الأسرة استنادًا إلى التعاليم القرآنية شرحًا دقيقًا وواضحًا لمفاهيم أساسية مثل "الكرامة" و"العدل" و"الأسرة" و"قوة الأسرة". تُشكل هذه المفاهيم الأساس النظري لهذا البحث، وتُدرس في إطار القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. يتطلب تحليل مكانة المرأة في القرآن الكريم وأثر الكرامة والعدل على قوة الأسرة شرح الأسس النظرية للمفاهيم التي يستند إليها هذا البحث. في هذا القسم، تُدرس المفاهيم الأساسية مثل "الكرامة" و"العدل" و"الأسرة" و"قوة الأسرة" من منظور القرآن الكريم والمعرفة الإسلامية.

١. الكرامة الإنسانية في القرآن الكريم مع التركيز على المرأة

كلمة "كرامة" مشتقة من "كرم" بمعنى الشرف والعظمة والتفوق. ويُعرّف القرآن الكريم الكرامة بأنها سمة عامة للبشر: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠).

ويرى العلامة الطباطبائي، في تفسيره لهذه الآية، أن الكرامة هي القيمة الأصيلة للإنسان التي وهبها الله لجميع البشر، ويعتبرها علامة على الخلافة الإلهية (الطباطبائي، ١٣٧٣، المجلد ١٣، ص١٨٦).

في نظر القرآن الكريم، تتمتع المرأة، كالرجل، بالكرامة الإنسانية. فلا فرق بين المرأة والرجل من حيث الإنسانية: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...﴾ (الحجرات: ١٣).

يذكر سيد قطب، في تفسيره "في ظلال القرآن"، أن كرامة المرأة في القرآن الكريم ليست مجرد ادعاء نظري، بل تتجلى أيضًا في الأحكام والروايات والنصائح العملية (سيد قطب، ١٣٥٥، المجلد ٦، ص ٢٤٩). كما أن الآيات المتعلقة بالأمومة والزوجة والمرأة المؤمنة والمثل الأعلى (مثل آسيا ومريم) دليل واضح على تقدير القرآن الكريم لمكانة المرأة. ويذكر فضل

الله، في تفسيره "من وحي القرآن"، أن اهتمام القرآن الكريم بمكانة المرأة يعكس نظرة إلهية لا أبوية لها (فضل الله، ١٤٠٨ هـ، المجلد ١، ص ٥٢).

العدل مبدأ أساسي في تعالىم القرآن الكريم. وقد أمر القرآن مرارًا بإقامته:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾ (النحل: ٩٠).

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: ٩).

في هذه الآيات، يُقدّم العدل كمعيارٍ لقياس العلاقات الفردية والاجتماعية. العدل، في نظر القرآن الكريم، لا يعني مجرد المساواة، بل "وضع كل شيء في موضعه الصحيح"؛ أي وضع كل شيء في موضعه الصحيح (المطهري، ١٣٧٠، ص ٦٥). في العلاقات الأسرية، العدل يعني احترام حقوق الرجل والمرأة بناءً على اختلاف طبيعتهما وواجباتهما. يقول العلامة الطباطبائي في تفسيره للآية ٣ من سورة النساء عن العدل بين الزوجين: "العدل هنا هو العدل العاطفي والسلوكي، وهو واجب في العلاقات الزوجية" (الطباطبائي، ١٣٧٣، المجلد ٤، ص ١٤٣). ويرى العلامة فضل الله أن العدل في الأسرة يقتضي الاعتراف المتبادل، واحترام الأدوار، وتهيئة جوّ من السكينة والطمأنينة في البيت (فضل الله، ١٤٠٨هـ، المجلد ٣، ص ١٢٠).

٢. العدل في العلاقات الأسرية؛ التوازن في الحقوق والواجبات

في آيات عديدة، قدّم القرآن الكريم العدل ليس فقط كقيمة فردية، بل كقاعدة أساسية لسلامة العلاقات الاجتماعية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ...﴾ (النحل: ٩٠).

العدل هو أيضًا مفتاح التوازن في الأسرة. في الآية ٣ من سورة النساء، ينصح الله الرجال بالزواج من واحدة إذا عجزوا عن العدل بين زوجاتهم:

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فواحدة...﴾.

يُفَسِّرُ الْعَلَّامَةُ فَإِذَا خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَانْكِحُوا إِحْدَى..."

يُفَسِّرُ الْعَلَّامَةُ فَإِنَّ الْعَدْلَ لَا يَقْصُرُ عَلَى الْمَالِ، بَلْ يَشْمَلُ أَيْضًا الْعَدْلَ فِي الْمَشْرَكَةِ.

وعليه، يُعدّ الظلم الأسري (سواءً بتفضيل أحد الزوجين، أو بالقهر العاطفي، أو بانتهاك حقوق المرأة) مثالاً على انحراف الأسرة عن تماسكها وانسجامها، ويؤدي في نهاية المطاف إلى عدم الاستقرار، والانفصال العاطفي، والحرمان من السلام. ويُعدّ تحقيق العدالة في الأسرة الأساسَ الرئيسي للاستقرار والتماسك والثقة المتبادلة بين الرجل والمرأة.

٣. مفهوم الأسرة في القرآن والسنة

الأسرة في الإسلام هي أول مؤسسة اجتماعية نشأت على أساس ميثاق مقدس:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا...﴾ (الروم: ٢١).

ترد في هذه الآية ثلاثة مبادئ قرآنية للأسرة:

- السكينة (الطمأنينة النفسية والعاطفية)
- المودة (الحب المتبادل)
- الرحمة (التعاطف والمساعدة).

تتحقق هذه المبادئ عندما تقوم العلاقات داخل الأسرة على الكرامة المتبادلة والعدل السلوكي. ووفقًا للدكتور شريعتي، فإن الأسرة في الإسلام ليست ساحةً لهيمنة الذكور، بل هي مجالٌ للمشاركة العقلانية والعاطفية بين الرجل والمرأة (شريعتي، ٢٠٠٢، ص ٩٢).عدل القرآني لا يعني مجرد المساواة العددية، بل يعني تحقيق التوازن ومراعاة الحقوق بما يتناسب مع الواجبات.

٤. تقوية منظومة الأسرة

تعني قوة الأسرة استقرار العلاقات الأسرية وتماسكها، واستقرار الأدوار، والتفاعل البنّاء بين أعضائها. والأسرة القوية هي التي يسودها الاحترام المتبادل، والمشاركة، والالتزام، والعدالة (عباسي، ٢٠١٩، ص ١١٠).

تُشير دراسات علم نفس الأسرة إلى أن من أهم عوامل استقرار الأسرة الحفاظ على كرامة المرأة وتحقيق العدالة في اتخاذ القرارات والمهام اليومية (قاسمي، ٢٠١٥). فالمرأة التي تشعر بالكرامة والاحترام ستشارك برغبة أكبر في تربية أطفالها، وتهيئة بيئة عاطفية صحية.

كما ورد في الروايات أن احترام المرأة يجلب البركة للأسرة ويرضي الله: **قال رسول الله ﷺ: (ما أكرمهن إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم).**

ترتكز الأسس النظرية لهذا البحث على أربعة مبادئ أساسية:

١. كرامة المرأة في القرآن الكريم فطرية، إلهية، لا تُمس.

٢. يكفل العدل القرآني التوازن في حقوق وواجبات الأسرة.

٣. الأسرة في الإسلام مؤسسة أخلاقية وعاطفية قائمة على الاحترام المتبادل.

٤. قوة الأسرة نتيجة طبيعية لتحقيق الكرامة والعدل في العلاقات الأسرية.

لذلك، يمكن الاستنتاج أن التعاليم القرآنية، التي تؤكد على كرامة المرأة وتحقيق العدل، لا تُسهم في تحسين وضع المرأة فحسب، بل تُعتبر أيضًا من أكثر الأدوات فعالية لتعزيز صحة الأسرة والمجتمع.

منهج البحث

يُحدد منهج البحث، باعتباره خارطة طريق للبحث، أسلوب جمع البيانات وتحليلها وتفسيرها. ونظرًا لأن موضوع هذه المقالة تحليلي ومفاهيمي، ويعتمد على المصادر القرآنية والتفسيرية والمكتبية، فقد استُخدم المنهج النوعي الوصفي التحليلي.

١. نوع البحث

هذا البحث بحث نوعي أساسي. يسعى هذا النوع من البحث إلى فهم وشرح المفاهيم الأساسية في النصوص الدينية وتطبيقاتها على القضايا الاجتماعية المعاصرة. ونظرًا لأن موضوع المقال هو فهم متعمق لتعالىم القرآن الكريم المتعلقة بالكرامة والعدل وتطبيقاتها على بنية الأسرة، فإن استخدام المنهج النوعي هو الخيار الأنسب.

٢. أسلوب جمع البيانات

تم الحصول على معلومات وبيانات البحث من خلال دراسة المكتبات والوثائق. شملت الأدوات الرئيسية لجمع البيانات ما يلي:

- النصوص المقدسة (القرآن الكريم).
- التفاسير الشيعية والسنية الموثوقة، مثل:
- الميزان في تفسير القرآن (للعلامة الطباطبائي).
- في ظلال القرآن (لسيد قطب)
- من وحي القرآن (لفضل الله).
- كتب في علوم القرآن، وعلم نفس الأسرة، وعلم اجتماع الدين، وفقه الأسرة.
- مقالات علمية وبحثية منشورة في مجلات مرموقة في مجال المرأة والأسرة.

٣. مجتمع البحث:

يتكون مجتمع البحث في هذه المقالة من آيات قرآنية تتعلق بموضوع المرأة والعدل والأسرة. كما تم اختيار التفاسير الشيعية والسنية الموثوقة كمصادر رئيسية لتفسير معاني الآيات. بالإضافة إلى ذلك، استُخدمت أعمال بحثية معاصرة في مجالات دراسات المرأة، والشريعة الإسلامية، وعلم اجتماع الأسرة، وعلم النفس الديني كبيانات داعمة.

٤. . منهج تحليل البيانات

في هذه الدراسة، استُخدم أسلوب تحليل المحتوى النوعي. في هذه العملية، استُخرجت الآيات ذات الصلة، ثم صُنفت المواضيع والكلمات المفتاحية الرئيسية (مثل الكرامة، والعدل، والمرأة، والأسرة) إلى وحدات دلالية. بعد ذلك، أُجري تحليل مفاهيمي للآيات ومقارنتها بالنتائج العلمية لشرح دور الكرامة والعدل في تقوية الأسرة

٥. صحة البحث وموثوقيته

لزيادة موثوقية البيانات، استُخدمت تفاسير متعددة ومصادر فقهية مختلفة لتجنب التحيز التفسيري. كما تم التحقق من صحة البيانات من خلال أسلوب التثليث للمصادر؛ بحيث تطابقت المواضيع القرآنية مع التفسيرات، ثم مع البيانات الاجتماعية العلمية.عدل في الأسرة.

النتائج والتحليل:

في هذا القسم، سندرس ونحلل مضمون آيات القرآن الكريم المتعلقة بكرامة المرأة، والعدل في العلاقات الأسرية، وأثر هذه التعاليم على قوة الأسرة. تُعرض النتائج في ثلاثة مجالات رئيسية:

١. كرامة المرأة في القرآن الكريم: من المساواة الخلقية إلى الارتقاء الاجتماعي

يُقدّم القرآن الكريم الإنسان على أنه أسمى المخلوقات، ويعتبر الكرامة سمةً فريدةً له. وتشمل هذه الكرامة الرجال والنساء على حد سواء:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...﴾ (الإسراء: ٧٠).

من وجهة نظر العلامة الطباطبائي، تُشير هذه الآية إلى أن الكرامة الإنسانية أمرٌ أصيلٌ وفطري، ولا فضلَ لأي جنس أو عرق على آخر (الميزان، المجلد ١٣، ص ١٨٦). في القرآن الكريم، لا تُساوي المرأة الرجل في الخلق فحسب:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾ (النساء: ١)

بل تُكرّم أيضًا من حيث أدوارها.

جاء في تفسير فضل الله: "المرأة في القرآن عنصر فاعل في الأسرة والمجتمع، لا مجرد تابعة مطيعة. وقد صوّر القرآن المرأة أمًا وزوجة ومؤمنة ومهاجرة وحافظة أسرار، بل ومجاهدة في سبيل الله" (فضل الله، ١٤٠٨ هـ، المجلد الثاني، ص ١٠٣).

وهذا الرأي يُرسّخ كرامة المرأة ليس فقط كشخصية محترمة، بل كعنصر مؤثر في التطور الاجتماعي والثقافي. ففي القرآن، المرأة شريكة في الواجبات الإنسانية، ومسؤولة عن المسؤوليات الأخلاقية والتربوية، لا كائنات تابعة أو من الدرجة الثانية.

٢. العدل في العلاقات الأسرية: ضمان للاستقرار العاطفي والبنيوي

العدل في القرآن الكريم مفهومٌ أساسيٌ يسري على جميع مستويات الحياة الفردية والاجتماعية. ففي الأسرة، لا يعني العدل المساواة الآلية، بل "التناسب في الواجبات والحقوق والآمال". الآية المحورية في هذا الصدد:

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ (النساء: ٣)

تُظهر أن العدل شرطٌ لشرعية بعض المؤسسات الأسرية (مثل تعدد الزوجات).

يقول سيد قطب في تفسيره: "يُنذر الله جلّ وعلا أنه بدون العدل، فإن أي بناء أسري – حتى لو كان دينيًا – سيؤدي إلى الظلم والانهيار" (في ظلال القرآن، المجلد ٢، ص ٣٢١).

تشمل العدالة في الأسرة الأبعاد التالية:

- العدالة الاقتصادية: في القرآن الكريم، المرأة مالكةٌ لمتلكاتها (النساء: ٣٢).
- العدالة العاطفية: الرجل مُلزم بتوفير الحب والراحة (الروم: ٢١).
- العدالة في اتخاذ القرارات: يُنصح باستشارة الزوجة (البقرة: ٢٣٣).

الظلم، حتى في المجال العاطفي أو الاهتمام، قد يُشعر المرأة بالإهانة، أو انعدام القيمة، أو انعدام الثقة، وقد يؤدي إلى عواقب وخيمة كتآكل العلاقات، وصراع الأدوار، والانهيار النفسي للأسرة.

٣. تفاعل الكرامة والعدل: أساس نظام الأسرة

يُظهر التحليل النهائي للنتائج أن الكرامة والعدل في القرآن الكريم لا يُهمّان النساء وحدهن فحسب، بل يُعززان أيضًا، من خلال تفاعلهن مع بعضهن البعض، أساس الأسرة. وفقًا للآية ٢١ من سورة الروم:

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.

تنشأ المودة عندما تُحفظ الكرامة المتبادلة، وتتشكل الرحمة في بيئة يسود فيها العدل في اتخاذ القرارات والمحبة وتوزيع المسؤوليات.

المرأة التي تشعر بالكرامة والأمان النفسي والاحترام والعدل في الأسرة:

- تُشارك بفعالية أكبر في تربية الأبناء
- تُشارك بشكل أكبر في توفير الرعاية العاطفية للمنزل

- ستُبنى علاقتها بزوجها على التعاون والتفاهم، لا على التنافس أو الطاعة العمياء.

كما تُؤكد دراسات علم نفس الأسرة هذه النتائج. على سبيل المثال، يُظهر قاسمي (٢٠١٥) في مقال بعنوان "الكرامة والعدل في استدامة الأسرة" أن الشعور بالاحترام والمساواة لدى المرأة يُعدّ أحد العوامل الحاسمة في الحد من النزاعات وزيادة الرضا الزوجي. ونتيجةً لذلك، يتضح من التحليل الشامل أن التعاليم القرآنية تُوفر بنية نظرية وعملية متينة لدعم مكانة المرأة، والعدالة في العلاقات الأسرية، وتقوية مؤسسة الأسرة. ويمكن لهذه التعاليم، بمنهجها الإلهي والأخلاقي والعملي، أن تُشكّل حلاً مناسبًا للأزمات المعاصرة في مجال الأسرة.

الخلاصة:

الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأساسية في التعاليم الإسلامية، ويعتمد استمرار سلامة المجتمع على سلامته واستقراره. وقد أسس القرآن الكريم هذه المؤسسة على مبادئ كالحب والرحمة والعدل والكرامة. وبصفتها الركيزة الأساسية للأسرة، تحظى المرأة بمكانة مرموقة ومؤثرة في القرآن الكريم، ويُعد تمتعها بالكرامة الأصيلة شرطًا أساسيًا لتكوين أسرة سليمة واستمرارها.

أظهرت نتائج هذه الدراسة أن القرآن الكريم، خلافًا للعديد من المواقف التاريخية والثقافية التي اعتبرت المرأة مهمشة أو في مرتبة أدنى من الرجل، يُقدمها كإنسانة كاملة، مسؤولة، مستقلة، وذات كرامة إنسانية. وتؤكد آيات عديدة في القرآن الكريم على مبدأ مساواة المرأة في الحقوق الإنسانية والمسؤولية والواجبات. وهذه الكرامة ليست مجرد شعار، بل تُفسر بوضوح في صورة حقوق اقتصادية وأخلاقية وأسرية واجتماعية.

من ناحية أخرى، يضمن العدل، باعتباره أحد أركان الشريعة الإسلامية الرئيسية، التوازن والصحة في العلاقات الأسرية. العدل في القرآن الكريم يعني وضع كل شيء في نصابه، ومراعاة تناسب الواجبات والحقوق بما ينسجم مع كرامة الإنسان. في ظل العدل، تستطيع المرأة أداء دورها كأم وزوجة ومربية أطفال ومشارك اجتماعي دون ذل أو هيمنة. إن الجمع بين هذين المفهومين الأساسيين، الكرامة والعدل، يؤدي إلى بناء بيئة أسرية سليمة؛ بيئة تشعر فيها المرأة بالأمان والقيمة والاحترام والانتماء؛ ويرى فيها الرجل نفسه

ملتزمًا تجاه زوجته وأسرته. هذا البناء يؤدي إلى بناء المودة والرحمة والسلام التي يعتبرها القرآن أساسًا للحياة معًا (الروم: ٢١).

وأخيرًا، يمكن القول:

- إن كرامة المرأة في القرآن الكريم عنصر أساسي لديناميكية شخصيتها وأدوارها في الأسرة.
- إن العدل في العلاقات الأسرية شرط ضروري لاستمرار الكرامة والتوازن في الأدوار.
- إن تفاعل هذين المفهومين لا يُخفف من هشاشة الأسرة فحسب، بل يُعزز تماسكها ونموها.

وتؤكد هذه الدراسة على ضرورة إعادة قراءة النصوص الدينية قراءةً منصفةً وتفسيريةً وحديثةً، لتعود التعاليم القرآنية في مجال المرأة والأسرة من الهامش إلى النص، وتُقدم نموذجًا مُلهمًا لإصلاح البنى الثقافية والتربوية والاجتماعية للمجتمعات الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع

- إن خير مانبتديء به القرآن الكريم.

١. إبراهيمي ديناني، غلام حسين. (٢٠١٤). في حضرة الحكمة. طهران: دار نشر طرح نو.
٢. أحمدي، فاطمة. (٢٠١٧). "تحليل حقوق المرأة في القرآن والسنة على أساس الكرامة الإنسانية". مجلة دراسات المرأة الإسلامية. السنة العاشرة، العدد ٣.
٣. أسدي، مرضية. (٢٠١٥). المرأة والكرامة الإنسانية من منظور القرآن. قم: بستان كتاب.
٤. أمين، إصلاح الدين. (٢٠١٨). المرأة والأسرة في الفكر الإسلامي. طهران: معهد أبحاث الثقافة والفكر الإسلامي.
٥. باقري، محمد رضا. (٢٠١٣). العدالة في الأسرة من منظور القرآن. طهران: سمت. جزائري، محمد تقي. (٢٠٠٦). بنية الأسرة في الإسلام. قم: منشورات جامعة الزهراء.

٦. حسيني، معصومة. (٢٠١٩). "دور العدل في تقوية الأسرة من خلال آيات القرآن الكريم". مجلة المرأة والمجتمع. السنة الثامنة، العدد الثاني.
٧. خرمشاهي، بهاء الدين. (٢٠٠٣). موسوعة القرآن الكريم والدراسات القرآنية. طهران: دار الأصدقاء للنشر.
٨. راغب أصفهاني، حسين بن محمد. (١٤١٢هـ). المفردات في غريب القرآن. تحقيق صفوان عدنان داودي. دمشق: دار القلم.
٩. شريعتي، علي. (١٣٨١هـ). ارجعي إلى نفسك (المرأة؛ مظلومة الأمس، جاهلة اليوم). طهران: جابخش. صادقي، زينب. (١٤٠٠). "إعادة قراءة مفهومي الكرامة والعدل في الأسرة من منظور القرآن الكريم". المجلة الفصلية لدراسات الأسرة الإسلامية. السنة الخامسة، العدد ٤، ص٩١-١٢٠.
١٠. طباطبائي، محمد حسين. (١٣٧٣). تفسير الميزان. ترجمة السيد محمد باقر الموسوي الهمداني، المجلد ١ إلى المجلد ٢٠. قم: دار النشر الإسلامية.
١١. عابديني، فاطمة. (١٣٩٥). كرامة المرأة في القرآن والحديث. طهران: مؤسسة البحوث الحوزوية والجامعية.
١٢. فضل الله، سيد محمد حسين. (١٤٠٨ هـ). من وحي القرآن الكريم. بيروت: دار الملك.
١٣. قاسمي، زهرة. (٢٠١٥). "الكرامة والعدالة في استدامة الأسرة". المجلة الفصلية لدراسات المرأة والأسرة. السنة السابعة، العدد ١، ص ٨٩-١١٤.
١٤. قطب، سيد. (١٩٧٦). في ظلال القرآن. بيروت: دار الشروق.
١٥. مطهري، مرتضى. (١٩٩١). نظام حقوق المرأة في الإسلام. طهران: دار صدرا.
١٦. مطهري، مرتضى. (١٩٩١). العدالة الإلهية. طهران: دار صدرا.
١٧. نصر، سيد حسين. (٢٠٠٢). المرأة في مرآة التصوف الإسلامي. ترجمة فاطمة واعظي. طهران: سروش.
١٨. يوسفي، إلهام. (١٩٩٩). "التحليل المفاهيمي لكرامة المرأة في الآيات والتفاسير المعاصرة". مجلة الدراسات الإسلامية المعاصرة. السنة الثانية، العدد ٢،